نظرة ابن رضوان المصري
في تعلم الطب (ت٤٥٣هـ/١٠٦١م)

م. خالد عبد الكريم عبد الرزاق
الجامعة العراقية / كلية الآداب

الملخص

شهدت مصر في العصر الفاطمي تطوراً هائلاً في مجال الطب، حيث أصبحت قبلة للأطباء الوافدين إليها من المشرق والمغرب، وهو الأمر الذي ساعد على تنوع الأفكار الطبية وثرائها، فضلاً عن إسهامات الأطباء المصريين على اختلاف معتقداتهم ودياناتهم، ويبرز من هؤلاء الأطباء الطبيب المصري أبو الحسن علي بن رضوان (ت٤٥٣هـ/١٠٦١م).

أن الدافع الأساس الذي دعانا لاختيار هذا الموضوع هو الغياب الصارخ لجهود نقدية تناولت (نظرة ابن رضوان المصري في تعلم الطب) بما يليق بمقامها العلمي وقيمتها الفكرية والحضارية.

Abstract

Egypt came across great development in the field of medicine in the Fatimid era. For this reason, it became the beacon of doctors who were coming from east and west. Therefore, medical thoughts were enriched and diversified in addition to Egyptian doctors contributions regardless of their ideologies and religions. It is worth noting that Abu AL-Hasan Ali Bin Radhwan (d. 453 AH/ 1061 AD) was considered to be one of them. The essential motive that let us select the topic in question is the clear absence of the works, which can be up to his scientific status and his civilized and intellectual values, dealt with (Ibn Radhwan L-Masri View towards Medical Learning).

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي تقدست أسماؤه وعلا شأنه، وجلَّ قدره، الحمد لله الذي أنار عقولنا بضياء نبينا محمد ﷺ فجلّى من نفوسنا ظلام الجهل وهدانا إلى سبل الرشاد في الحياة.

شهدت مصر في العصر الفاطمي تطوراً هائلاً في مجال الطب، حيث أصبحت قبلة للأطباء الوافدين إليها من المشرق والمغرب، وهو الأمر الذي ساعد على تنوع الأفكار الطبية وثرائها، فضلاً عن إسهامات الأطباء المصريين على اختلاف معتقداتهم ودياناتهم، ويبرز من هؤلاء الأطباء الطبيب المصري أبو الحسن علي بن رضوان (ت٤٥٣هـ/١٠٦١م).

أن الدافع الأساس الذي دعانا لاختيار هذا الموضوع هو الغياب الصارخ لجهود نقدية تناولت (نظرة ابن رضوان المصري في تعلم الطب) بما يليق بمقامها العلمي وقيمتها الفكرية والحضارية، ولم يكن حظها في هذه الدراسة إلا استدعاءات لبعض الشذرات منها في دراسات متفرقة هنا وهناك وفق ما يخدم الغايات والطموحات العلمية لهذه البحوث.

وتناولت خطة البحث المقدمة وفصلين تضمن الفصل الأول أربعة مباحث واحتوى الفصل الثاني ثلاثة مباحث ثم عرجت إلى الخاتمة مع ذكر أهم النتائج التي توصلت إليها وقائمة المصادر والمراجع.

الفصل الأول

سيرته الشخصية والعلمية

المبحث الأول

اسمه وولادته ونشأته ووفاته

أسمه :

أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر الطبيب. (١)

ولادته :

كان مولده في ديار مصر بالجيزة قرب القاهرة، لذا لقب (بالمصري)، نشأ بمدينة مصر ولا نملك شيئاً قاطعاً عن سنة ولادته، سوى أنه ولد في أواخر القرن الرابع الهجري. (٢)

نشأته :

ولد لأب فقير يشتغل فراناً، وتوفي والده وهو صغير تاركاً ولده علياً يغادر إلى القاهرة في سن مبكرة ليبدأ بتعلم شيء من علم النجوم الذي مكنّه من التكسب به ليتابع تحصيله في علوم الطب. (٣)

ويحدثنا ابن رضوان عن نشأته وكيفية تعلمه صناعة الطب، فيقول: (فلما بلغت السنة السادسة أسلمت نفسي في التَّعليم ولما بلغت السنة العُاشِرة، انتقلت إلى المدينة العُظمْى(*) وأجهدت نفسي في التعليم، ولَما أَقمت أربع عشرة سنة أخذت في تعلم الطبّ والفلسفة، ولم يكن لي مَال أنفق مِنهُ، فَلذلكَ عرض لي في التعِّليم صعوبة ومشقة، فَكنت مرّة أتكسب بصناعة القضايا بالنجوم، ومَرَّة بصناعة الطبّ، ومَرَّة بالتعليم، ولم أزل كَذَلَك وأنا في غاية الاجتهاد في التِّعليم إلى السنة الثانية والثلاثين، فأنيَّ اشتهرت فيها بالطب، وكفاني ما كنت أكسبه بالطب). (٤)

عاش ابن رضوان في ظل الدولة الفاطمية في مصر، وتعاقب خلال حياته عدة خلفاء أولهم الحاكم أبو علي المنصور (٣٨٦ هـ/ ٩٩٦ م). (٥)

وأثناء هذه السنوات، تلقى ابن رضوان علمه دون أستاذ حتى صار كبيراً لأطباء الحاكم، فطاب عيشه وكفاه ما يكسبه. (٦)

ولما وصل ابن رضوان لهذه المكانة، ترك التنجيم والعمل به والتفت فضلاً عن التطبب للتأليف وشرح مؤلفات من سبقهِ كجالينوس وأرسطو وابقراط وغيرهم. (٧)

ويصور لنا ابن رضوان هذه المرحلة، فيقول: (وكنت منذ السنة الثانية والثَّلاثين إلى يومي هذا... أتصرف كل يوم في صناعتي بمقدار مَا يُغني، ومن الرياضة التَّي تحفظ صحّة البدن وأغتدي بعد الاستراحة من الرياضة غذَاء أقصد به حفظ الصِحَّة، واجتهد في حَال تصرفي في التَّواضُع والمداراة وغياث الملهوف، وكشف كربَة المكروب... وَلاَبُد أن يحصل مع ذلك، كسب ما ينفق فانفق مِنْه على صِحَة بدني، وعمارَة منزلي نَفقَة لا تبلغ التبذير، ولاَ تنحط إلى التقتير وتلزم الحال الوُسطى). (٨)

ومع هذه المهمة والخلق العالي، كان ابن رضوان أسود اللون دميم الخلقة، وكان يرد على من يعيره بقبح خلقهِ: (أن الطبيب الفاضل لا يجب أن يكون جميلاً). (٩)

وفاته:

اختلفت الآراء حول وفاة ابن رضوان، فبينما يذكر لنا القفطي أنها كانت سنة ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧م(١٠). يذكر ابن أبي أصيبعة سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م(١١) بمصر.

يذكر أن أحد أسباب وفاته أنه تغير عقله في أيامه الأخيرة. والسبب هو في أيام الغلاء أخذ يتيمة رباها وكبرت عنده. فلما كان في بعض الأيام خلالها الموضع، وكان قد أدخر أشياء ثمينة نفيسة، ومن الذهب عشرين ألف دينار فأخذت الجميع وهربت، فلم يظفر منها على خبر، ولا عرف أين توجهت فتغيرت أحواله من حينئذٍ. (١٢)

المبحث الثاني

إسهاماته العلمية ومؤلفاته

أهم إسهامات ابن رضوان في الطب:

اهتم بمعاينة المرض والتعرف عليه، والنظر إلى أعضاء المريض وبشرته، وتفقد أعضائه الداخلية والخارجية وطريقة نظره وكلامه ومشيته، والتعرف على نبض قلبه وعلى مزاجه عن طريق توجيه الأسئلة إليه، وحدد ابن رضوان من واجبات

الطبيب في معالجة أعدائه بنفس الروح والإخلاص والاستعداد التي يبذلها عند معالجة أحبائه[١٣].

كان ابن رضوان من المكثرين في التأليف، فذكر له ابن أبي أصيبعة ما يقرب من المائة مؤلف[١٤]، أما القفطي فلم يذكر له إلا كتابين فقط.[١٥]

ضمت مؤلفات ابن رضوان ستة شروح وتسع تعاليق على مؤلفات جالينوس، مع أنه لم يحبذ كتب الشروح، ثم وضع سبعة كتب في نقد وذم ابن بطلان[١٦] حول خلافهم المشهور[١٧].

ومن أبرز مؤلفاته (الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب)، يتحدث فيه عن طرائق تعلم الطب بالنسبة للمتِعلمّ وعرض لأفكاره وأفكار كثير من زملائهِ الآخرين عن الطب اليوناني القديم، وتطوره، وقيمته، وطريقة تعلمه، ثم الصفاِت الواجب توافرها في التلميذ الراغب بدراسة الطب، وعلامات كفاءة الممارس في صناعة الطب [١٨].

وكتاب (دفع مضار الأبدان بأرض مصر)، ترجم ماكس مِّيرهُوف[*] فصلاً منه في كتابهِ (دراسة المناخ والصحة في مصر القديمة) سنة ١٩٢٣م [١٩].

وكتاب (شرح الصناعة الصغيرة)، لجالينوس الذي كان له شهرة عظيمة.

وقد ترجمه جيرار[٢٠**] الكريموني إلى اللاتينية، ونشر في البندقية سنة ١٤٩٦م[٢١].

كما شرح المقالات الأربع في قضايا النجوم لبطليموس، وكتابه (كفاية الطبيب فيما صح لدي من التجارب) لم يأتِ فيه بكبير، ولَهُ كتابٌ في ترتيب كتاب جالينوس في الطب [٢٢].

ولَمسنا من عناوين مؤلفاته أن بعضها كان أجوبة لمسائل سألها إياه علماء آخرون مما يدل على مكانة ابن رضوان العلمية.

ومن الجدير بالذكر، أن معظم مؤلفات ابن رضوان المصري التي عددها لنا ابن أبي أصيبعة هي في عداد المفقودات أو مهمل في ظلمات الأقبية كغيرها من الكم

الهائل من المخطوطات التي تركها لنا الأجداد وتستصرخ هممنا ومجهودنا كي نعيدها إلى الحياة بنفض

الغبار عنها وإنقاذها من خطر الإهترار والضياع وبتحقيقها من جديد وتقديمها إلى شبابنا وإلى غيرنا من الأمم.

المبحث الثالث

آراء العلماء في ابن رضوان المصري

اضطربت حوله آراء المؤرخين فمن وصفه بالشعوذة وسفاهة الرأي كالقفطي يقول عنه : (وكان أول أمره منجماً يقعُد على الطريق ويرتزق لا بطريق التحقيق كعادة المنجمين، ثم قرأ شيئاً من الطب وشيئاً من المنطق وكان من المنغلقين لا المحققين، ولم يكن حسن المنظر لا الهيئة)[٢٣].

وقال عنه الذهبي: (الفيلسُوف البَاهُر، صاحب التَّصانيف في الطب والرياضي، وَكَانَ مُسلِماً موحِّداً ومن قَوْله: أفضل الطَّاعات النظرُ في الملكُوت وتَمجيدُ المَالِك لها)[٢٤].

ومدحه أشد المدح كابن تغري بردي في نجومه الزاهرة إذ يقول: كان من كبار الفلاسفة في الإسلام كان إماماً في الطب والحكمة كثير الرّد على أرباب فَنَّه[٢٥].

ويصفه ابن العماد الحنبلي يقول: الفيلسوف صاحب التصانيف كان رأساً في الطب وفي التنجيم، من أذكياء زمانه بديار مصر[٢٦].

ويقول البغدادي عنه : الطبيب الفيلسوف المصري المتوفي سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م صنف من الكتب، تفسير مقالة الحكيم فيثاغورث في الفصيلة تفسير قاموس الطِّب[٢٧].

المبحث الرابع

الطب في العصر الفاطمي

شهدت مصر تطوراً هائلاً في مجال الطب منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية (٢٩٦هـ/٩٠٨م).

فأهتم الخلفاء والسلاطين والأمراء الفاطميون بالطب وغدقوا على الأطباء الأموال وأجزلوا لهم المنح وقلدوهم المناصب العالية وأصبحت لهم منزلة رفيعة بين رجال البلاط.

وقد ساعد ارتحال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وحركة الترجمة أيضاً على تقدم الطب الذي أصبح يُدرس نظرياً وعملياً في المارستانات، ومن أشهرها البيمارستان المنصوري بالقاهرة الذي انشأه المنصور سيف الدولة قلاوون في القرن السابع الهجري، والتي كانت أشبه بكليات للطب تخرج فيها جماعة من أطباء الأمراض الباطنية والجراحين والكحالين. وكان من مستلزمات الطبيب أن يكون ملماً بعلوم الفلسفة واللغات الأجنبية،وخاصة السريانية واليونانية لما لها أثر في ترجمة الكتب الرومانية واليونانية ككتب أبقراط وجالينوس وغيرهما، بجانب إلمامه بالطب(٢٨).

فلمعت أسماء كثيرة من الأطباء المسلمين والنصارى واليهود، **أشهرهم أبو الحسن علي بن رضوان المصري** (ت٤٥٣هـ/١٠٦١م) والذي سنقصر الحديث عنه.

وسهلان بن عثمان بن كيسان (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) فقد كان عالماً حاذقاً تقدم عند الخلفاء الفواطم وعلا جاهه في أيام الخليفة العزيز بالله (٣٦٥هـ-٣٨٦هـ) / (٩٧٥م-٩٩٦م) واقتنى المال الجزيل. وله من التصانيف (كتب في الأقربازين) كان مجهولاً حتى عثر على نسخة منه الأب بولس سباط سنة ١٩٢٠م بحلب(٢٩).

والطبيب أحمد بن محمد البلدي (ت حوالي ٣٨٠هـ أو ٣٨١هـ) / (٩٩٠م أو ٩٩١م) الذي ألف رسالة تناول فيها صحة الحوامل والعناية بالأطفال اسمها (كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان)(٣٠).

وأعين بن أعين (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) الذي كان طبيباً متميزاً في أيام العزيز بالله (٣٦٥هـ-٣٨٦هـ) / (٩٧٥م-٩٩٦م) الفاطمي، وله من الكتب كناش، وكتاب في أمراض العين ومداواتها[٣١].

فضلاً عن هؤلاء الطبيب **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد التميمي** (ت٣٩٠هـ/١٠٠٠م) الذ ألف كتباً كثيرة بالعقاقير وصنف عدة كتب بالطب، وفي تركيب أدوية العلاج ومن أهم أعماله (المرشد إلى جواهر الأغذية) ومقالة في ماهية الرمد وأنواعه وأسبابه وعلاجه[٣٢].

وأبو القاسم عمار بن علي الموصلي (الكحال) (ت٤٠٠هـ/١٠١٠م)، إذ اعتبره العلماء في طليعة الكحالين في العالم الإسلامي، ومن أشهر مؤلفاته كتاب (المنتخب) في علاج العين الذي يذكر فيه عدة وصفات لأمراض العين وطرق علاجها[٣٣].

أما **علي بن سليمان** الذي عاصر ثلاث خلفاء فاطميين هم **العزيز بالله بن المعز** (٣٦٥هـ-٣٨٦هـ) / (٩٧٥م-٩٩٦م) **والحاكم بأمر الله** (٣٨٦هـ-٤١١هـ) / (٩٩٦م-١٠٢٠م) **والظاهر** (٤١١هـ-٤٢٧هـ) / (١٠٢٠م-١٠٣٥م) وله مؤلفات شتى منها كتاب (الحاوي في الطب) وكتاب الخواص الطبية المنتزعة من كتب أبقراط وجالينوس وغيرهما[٣٤].

والأمير محمود الدولة أبو الوفاء المبشر بن فاتك الآمري الذي لازم أبا الحسن علي بن رضوان المصري (ت٤٥٣هـ/١٠٦١م). فقد كان حكيم، أديب، أصله من دمشق وموطنه مصر. له (مختار الحكم ومحاسن الكلم). قال ياقوت : (وله تواليف في علوم الأوائل وملك من الكتب ما لا يحصى عدده كثرة)[٣٥].

ومن أشهر أطباء هذا العصر أيضاً **علاء الدين بن أبي الحزم النفيس القرشي** (ت٦٨٧هـ/١٢٨٥م) وكان يُعد إمام الطب في زمانه، واشتهر بمؤلفاته الطبية[٣٦].

وهو كما وصفه السيوطي (أحد من انتهت إليه معرفة الطب)[٣٧].

الفصل الثاني

آراء ابن رضوان في تعلم الطب

المبحث الأول

طالب الطب في منظور ابن رضوان

قدم ابن رضوان المصري معلومات مهمة عن طالب الطب، من خلال بيان ثقافته وشروطه ومناهجه الدراسية.

وابتداءً... يحدد ابن رضوان ضرورة أن يكون طالب الطب عند شروعه في التعلم، شاباً، صحيح المزاج، وقوراً، صبوراً، نظيفاً، عفيفاً، ومتفرغاً لدراسة ومتابعة العلم، محترماً لمعلميه ومقرأ لهم. (٣٨)

وشدد في اختيار من يرد تعلم صناعة الطب، إذ قال:

(فامتحن نفسك، فأن كنت تصلح للتعليم فاشرع فيه، وإن كنت لا تصلح فلا تتعب فيما تبلغه، وأول ما تمتحن به هو عقلك وفهمك وصبرك على تعب النسخ بأنك إن كنت جديد العقل ذكي الفهم، فقد ترجى لك أدراك محاسن الطب). (٣٩)

وقد أكد ابن رضوان المصري على ضرورة أن يتعلم الطالب مجموعة من العلوم قبل دراسة الطب، منها كتب الشريعة، والآداب، والأخلاق، وعلوم الفلسفة والنجوم.

فيقول أثناء حديثه عن كتب أبقراط وجالينوس: (وأن يكون متعلمها قد تأدب بالآداب والتعاليم). (٤٠)

وكان ابن رضوان من أكبر دعاة المذهب الذي يقول: بأن الطب ليس علماً بحد ذاته بل هو صناعة ولا تكتمل مقوماته كعلمٍ إلا بعد دراسة الفلسفة، حتى قال بإصرار كبير: بأن لقب طبيب يجب أن لا يطلق إلا على من يتعاطى الفلسفة والطب معاً وإلا فهو ليس طبيباً بل متطبباً. (٤١)

ولعل ابن رضوان بذلك القول يعبر عن تفكير وقته وعصره الذي كان لا يرى أن هناك فصلاً بين الطب والفلسفة، وإن أساسيات الطب الفلسفية أساس في تكوين شخصية طالب الطب.

أما الكتب المتخصصة فقد اشتملت على موضوعات صناعة الطب، فانتخب ابن رضوان المصري مجموعة منها، وجعل في مقدماتها كتب أبقراط.

لقد أثبت ابن رضوان مجموعة كتب أبقراط جميعها، جاعلاً لها ترتيبين أحدهما: يليق بأصحاب التجارب، والآخر: يليق بأصحاب القياس، وكأنه بذلك يحدد مستويات تلك المؤلفات ومدى ملائمتها لطالب الطب. (٤٢)

وذكر ابن رضوان أن الكتب الخاصة هي تلك الكتب التي فرزها جالينوس بعد أن أبطل ما نسب إليه منها، ثم شرحها وأزال اللبس والغموض الذي اتسمت به حتى أصبحت سهلة الفهم للمتعلمين، ومنها: (كتاب الأجنحة، طبيعة الإنسان، الأهوية، الفصول، الأخلاط، الأغذية، تقدمة المعرفة...الخ). (٤٣)

التعليم العلمي:

ومع اهتمام ابن رضوان المصري بالجانب النظري وكيفية عمله لتلامذة الطب، فأنه لم ينس أهمية التعليم الطبي في جانبهِ التطبيقي، بل أعطاه أهمية قصوى لما له من تأثير مباشر على تعلم الطالب وإتقان مهنته والبراعة فيها.(٤٤)

ولذلك نجد أن ابن رضوان، وبعد أن يذكر الكتب النظرية اللازمة لإتقان مهنة الطب، يشير إلى أن الطالب لا يكتفي أن يكون عارفاً بما فيها، حتى يكون متدرباً في الأعمال الجزئية من الصناعة. (٤٥) وفي ذلك تأكيد على أهمية اقتران الدراسة بالعمل اليدوي أو (التدريب) بلفظ المصري الذي عزز بذلك ما قاله الأطباء الآخرون ممن ركزوا على هذا الجانب وأولوه مكانته الحقيقية.

وفي هذا الإطار تأتي نصائح ابن رضوان حول عملية الكشف والفحص السريري، إذ نجده يشدد على الطبيب أن يمارس فحصه الكامل لجسم المريض، وإلا يتسرع في معالجته إلا بعد التأكد من معرفة العلة، وإن يعالج بما يراه شريطة ألا تكون المعالجة خطرة؛ لأن المسؤولية عظيمة إذا وقع مكروه للمريض.

يقول ابن رضوان في هذا الجانب:

(تُعرف العيوب... هُوَ أن تنظر إلى هيئة الأَعْضاء والسحنة والمزاج وملمس البشَرة، وتتفقد أفعَال الأعضاء الباطِنة والظاَّهِرَة).(٤٦)

أما منهجه في العلاج، فيقول:

(إذا دعيت إلى مَرِيض فأعطه ما لاَ يضرّهُ إلى أَن تعرف علته فتعالجها عِنْد ذَلِك، ومعرفة المرض هو أن تعرف من أي خلط حدث أولاً، ثم تعرف بعد ذلك في أي عُضْو هُوَ، وعندئذ تعالجه). (٤٧)

المبحث الثاني

ابن رضوان ووسائل تعلم الطب

ناقش الأطباء العرب في مصنفاتهم مسائل التعليم الطبي، فثار بين ابن رضوان (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م)، وابن بطلان (ت ٤٤٧ هـ/١٠٥٥م) خلافات كثيرة حول ذلك، منها: هل يفضل أن يتعلم التلميذ الطب من الكتب فقط أم لابد له أن يتلقى الدروس الطبية على يد أستاذ حاذق ومتضلع في المهنة.

فجرت مراسلات عديدة بين الطبيبين تبادلا فيها الاتهامات بشكل كبير، حتى قال عنها ابن أبي أصيبعة:

(وكانت بين ابن بطلان وابن رضوان المراسلات العجيبة، والكتب البديعة الغريبة، ولَم يكن أحد مِنْهُم يؤلف كتاباً ولا يبتدع رَأياً إلاَّ ويَرد الأخر عليه ويسفه رَأيْه فيه). (٤٨)

وبسبب هذا الخلاف والجدل الكبيران، الحادان، وقف علي بن رضوان في جانب وابن بطلان في جانب آخر، فدعم وجهة نظر ابن بطلان كافة الأطباء في عصره وكل العصور.(٤٩)

وقد بيّن ابن رضوان منهجه هذا في كتابهِ: (الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب)، والذي يقول فيه: (وهذا الطريق يقوم لمن لا يجد معلماً جيداً مقام المعلم الجيد). (٥٠)

والظاهر أن هذا التوجه في تعليم الطب من لدن ابن رضوان كان يعبر عن منهج شخصي لا يوافقه فيه كافة الأطباء، فقد قال أنه وبصراحة (تعلم الطب من الكتب؛ لأن دراسته على المعلمين تكلفه أجوراً لا طاقة له عليها). (٥١)

فضلاً عن ذلك أن هذا الرأي كان انعكاس للبيئة والظرف الذي مّر به المصري، إذ كانت حالة الطب سيئة في وقتهِ ولم تكن لديه المقدرة المالية ليتلقى العلم فاضطر للبدء في تعلم صناعة الطب من الكتب وبدون معلم على طريقة اليونان. (٥٢)

وفسر ابن رضوان رأيه هذا بأن بعض متكلمي الطب الذين قصد الانضمام إلى حلقاتهم كانوا لا يلقون دروسهم بقراءة الكتب دون تفسير ما يقرءون للتلاميذ.

وثمة رأي آخر لأحد الباحثين يقول: بأن علي بن رضوان المصري لم يقصد برأيه إطلاق الأمر، وإنما هو لا يقول بهذا الرأي إلا عندما لا يتوفر أستاذ أو معلم كفوء يتعلم الطالب الطب على يديه، وإلا فأن التعلم على يدي أستاذ أفضل وخاصة للقسم العلمي منه(٥٣)، وهذا ما قاله ابن رضوان:

(إما أن يجد (المتعلم) معلماً فاضلاً يتفهم منه ما في كتب أبقراط متبرع بذلك تعليمه كما أسرع تعليم جالينوس، وإما أن يعدم المعلم الحاذق فيحتاج أن يتعلم لنفسه من كتب جالينوس، فيطول زمان تعليمه متى استعمل في تعليمه قوانين المنطق). (٥٤)

المبحث الثالث

اعتماد الكتب الطبية التعليمية

ناقش ابن رضوان المصري، وقدمَ رأيه، عن موضوع اعتماد الكتب التعليمية وعلاقتها بالتعليم الطبي، والذي يتلخص بماهية الكتب الطبية التي ينبغي لطالب الطب أن يقرأها ويتعلم عليها حتى يصبح طبيباً حاذقاً ومتمكناً.

وما هو المنهج الذي ينبغي أن يتبعه الطالب في دراسة هذه الكتب، وفي دراسة علم الطب بوجه عام.

كما نجد (علي بن رضوان) بحكم اهتمامه بالتعليم الطبي طرفاً في هذه المسألة إذ قدم وجهة نظر تتلخص في أن الطريق الأفضل في تعلم صناعة الطب، هو أن يترك الطالب ما كثر من المصنفات والكنانيش(٥٥) التي صنفت بعد جالينوس من الأطباء المحدثين والقدامى. وأن يقتصر الطالب على قراءة كتب الأطباء الأفاضل القدماء أمثال أبقراط وجالينوس باعتبارها الكتب النافعة فقط في تعلم هذه الصناعة، أما ما عداها فمغلطة، وصارخة عن صناعة الطب(٥٦).

وخيّر ابن رضوان طالب الطب بين ثلاث طرائق يستطيع أن يختار أحداها للقراءة والدرس، هي:

- أن يقرأ كتب جالينوس، حسب ترتيبه لها في مقالته.
- أن يقرأ الكتب التي أقرها أطباء الإسكندرية لمتعلمي الطب حين جمعوا بين كتب أبقراط وجالينوس.
- أن يقرأ كتب أبقراط التي فسرها وشرحها جالينوس. (٥٧)

وأكد ابن رضوان كذلك على طالب الطب ألا ينصرف من مسألة طبية إلى أخرى، إلا بعد إتقان الأولى ومعرفتها تمام المعرفة، وأن يتوقف في دراسته عند الأمور الطبية وما يتعلق بها من علوم أخرى فلسفية، ومنطقية، ورياضية، وجغرافية، ولا يتعداها إلى غيرها حتى لا تزداد شكوكه فيصير إلى الهذيان. (٥٨)

الخـــاتمة

استعرضنا فيما سبق من الصفحات آراء ابن رضوان المصري في تعلم الطب، فبرزت بعض الجوانب المهمة، ومن أهمها ما يأتي:

١) أشار ابن رضوان إلى أهمية وشرف صنعة الطب، وقيمة العامل فيها.

٢) أكد على ضرورة تحلي طالب الطب بمجموعة مواصفات بعضها خلقية ونفسية وجسدية وبعضها الأخر علمية.

٣) خالف ابن رضوان باقي الأطباء بالإشارة إلى أن التعلم في الطب يمكن أن يُعتمد فيه على الكتب لا على المعلمين.

٤) وضح أن الطريق الأفضل في التعلم هو في ترك المصنفات والكنانيش والاعتماد على كتب أبقراط وجالينوس.

٥) وختاماً شدد ابن رضوان على أن طالب الطب يجب أن يتقن معارفه شيئاً بعد شيء دون استعجال وبتأني وروية.

هوامش البحث ومصادره:

(١) القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ/١٢٧٨م)، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٤٤٣-٤٤٤؛ ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت ٦٦٨ هـ/ ١٢٦٩ م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)، ص ٥٦١-٥٦٧.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٦١-٥٦٧؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ج١٨/ص١٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٦١-٥٦٧.

(*) يقصد بها مدينة القاهرة.

(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٦١.

(٥) ابن تغري بردي، يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب+ مصر-دت، ج٥/ص٦٩.

(٦) السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، (بغداد، د.ت)، ج ٢/ ص ٣٢-٣٣.

(٧) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٦٢.

(٨) المصدر نفسه، ص ٥٦١- ٥٦٢.

(٩) كعدان، عبد الناصر، الطبيب العربي بن رضوان المصري، معهد التراث العلمي العربي، (حلب، د.ت)، ص٤.

(١٠) أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص ٤٤٤.

(١١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٦٤.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٥٦٣.

(١٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٦٣.

(١٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٦٦-٥٦٧.

(١٥) أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص ٤٤٣-٤٤٤.

(١٦) ابن بطلان: (ت ٤٤٧هـ/١٠٥٥م) أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون، نصراني من أهل بغداد وكان قد اشتغل على أبي الفرج عبد الله بن الطيَّب وتتلمذ لَهُ وأتقن عَلَيْهِ قِراءَة كثير من الكتب الحكمية وغيرها. (ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٣٢٥).

(١٧) خلافهم المشهور: لم يكن لابن رضوان في صنَاعة الطب معلم ينسب إليه ولَه كتاب في ذلك يتضمَّن أن تحصيل الصَّنَاعة من الكتب أوفق من المعلمين وقد رد عليه ابن بطلان هذا الرأي وغيره في كتاب مُفرد وذكر فصلاً في العِلل التي لأجلها صار المتعلم من أفواه الرّجَال أفضل من المتعلم من الصحف إذا كان القول واحداً. (ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٦٣؛ ابن العبري، غريغوريوس بن توما المطلي، أبو الفرج (ت ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦ م)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطوان صالحاني اليسوعي، ط ٣، دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢ م، ص ١٩٠.

(١٨) زناتي، أنور محمود، موسوعة تاريخ العالم منذ توحيد القطرين وحتى أحداث ١١ سبتمبر، نشر اليكتروني، دار كتب عربية، (القاهرة، ٢٠٠٧ م)، ج ٢/ ص ٤٤٣.

(*) ماكس مِّيرهوف: (١٢٩١ هـ/ ١٣٦٤ هـ) (١٨٧٤ م-١٩٤٥ م): طبيب ومستشرق ألماني، ولد في مدينة هلدسهيم الألمانية، وتوفي بالقاهرة. من آثاره (الأسماء الطبية) لجالينوس، بالعربية مع ترجمة ألمانية وشروح وتعاليق. (ينظر: الزركلي، خير الدين (ت ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦ م)، الأعلام، ط ١٥، دار العلم للملايين، (بيروت، ٢٠٠٢ م)، ج ٥/ ص ٢٥٦).

(١٩) ابن رضوان، أبو الحسن علي (ت ٤٥٣ هـ/ ١٠٦١ م)، الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب، تحقيق: د. كمال السامرائي، مركز أحياء التراث العربي، (بغداد، ١٩٨٦م)، ص ٢١.

(**) جيرار الكريموني (٥٠٨هـ- ٥٨٣ هـ) (١١١٤ م- ١١٨٧ م): مترجم إيطالي للأعمال العلمية العربية، والذي عثر على أعمالهِ في مكتبات طليطلة في إسبانيا. (ينظر: الزركلي، الأعلام، ج ٢/ ص ١٤٩).

(٢١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٦٦؛ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧ هـ/ ١٦٥٦ م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، (بغداد، ١٩٤١ م)، ج ٢/ ص ١٠٨٢.

(٢٢) القفطي، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص ٣٢٤.

(٢٣) أخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص٣٢٣.

(٢٤) سير أعلام النبلاء، ج١٨/ص٩٧ و ص١٠٥.

(٢٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٥/ص٦٩.

(٢٦) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٩٨٦م، ج٥/ص٢٢٦.

(٢٧) البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم (ت١٣٩٩هـ/١٩٧٨م)، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج١/ص٦٨٩.

(٢٨) حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م، ج٤/ص٥٢٠.

(٢٩) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٥٤٨.

(٣٠) المصدر نفسه، ص٢٣٢-٢٣٣ ؛ موقع المعرفة (الأدب والعلوم في العصر الفاطمي) www.marefa.org.

(٣١) المصدر نفسه، ص٥٤٦.

(٣٢) المصدر نفسه، ص٥٤٦ ؛ الزركلي، الأعلام، ج٥/ص٣١٣.

(٣٣) المصدر نفسه، ص٥٤٩ ؛ المصدر نفسه، ج٥/ص٣٦.

(٣٤) المصدر نفسه، ص٥٥٠.

(٣٥) المصدر نفسه، ص٥٦٠ ؛ الزركلي، الأعلام، ج٥/ص٢٧٣.

(٣٦) حسن، تاريخ الإسلام، ج٤/ص٥٢٠.

(٣٧) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر، ١٩٦٧م، ج١/ص٥٤٢.

(٣٨) ابن رضوان، الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب، ص ٧٦.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٩٧؛ أبن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥١٣.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٦٥.

(٤١) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٧٠.

(٤٣) ابن رضوان، مقالة في التطرق بالطب إلى السعادة، منشور في مجلة تاريخ العلوم العربية، تحقيق: سليمان قطاية، ١٩٧٨ م، ص ٧٦.

(٤٤) ابن رضوان، الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب، ص ١٠١.

(٤٥) ابن رضوان، مقالة في التطرق بالطب إلى السعادة، ص ٧٦.

(٤٦) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥١٤.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ٥١٤.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ٣٢٥-٣٢٦.

(٤٩) مايرهوف، شاخت، خمس رسائل لابن بطلان البغدادي وابن رضوان المصري، الجامعة المصرية، كلية الآداب، (القاهرة، ١٩٣٧ م)، ص ٣٤-٣٧.

(٥٠) ابن رضوان، الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب، ص ٦٢.

(٥١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٦٢.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٥٦٣.

(٥٣) كعدان، الطبيب العربي علي بن رضوان المصري، ص ٥.

(٥٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٦٥.

(٥٥) الكنانيش، تسمية مغربية تقابلها كلمة (التذكرة) في الشرق كتذكرة الصفدي، والكناشة هي الأوراق تجعل كالدفتر يُقيد فيها الفوائد والشوارذُ للضبط. (ينظر: الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩٠ م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: نخبة من العلماء، (بلا طبعة ومكان الطبع)، ج ١٧/ ص ٣٩٦.

(٥٦) ابن رضوان، الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب، ص ١٠٢.

(٥٧) المصدر نفسه، ص ١٠٢ وما بعدها.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ١١٢.

المصـــادر

١) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت ٦٦٨ هـــ/ ١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

٢) ابن تغري بردي، يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن جمال الدين (ت ٨٧٤ هـــ/ ١٤٦٩ م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، د.ت.

٣) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧ هـــ/ ١٦٥٦ م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١ م.

٤) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـــ/ ١٣٤٧ م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

٥) ابن رضوان المصري، أبو الحسن علي (ت ٤٥٣ هـــ/ ١٠٦١ م)

- الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب، تحقيق: د. كمال السامرائي، مركز إحياء التراث العربي، بغداد، ١٩٨٦ م.
- مقالة التطرق بالطب إلى السعادة، منشور في مجلة تاريخ العلوم العربية، تحقيق: سليمان قطاية، ١٩٧٨ م.

٦) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥ هـــ/ ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: نخبة من العلماء، (بلا طبعة ومكان الطبع).

٧) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت٩١١هـــ/ ١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، مصر، ١٩٦٧م.

٨) ابن العبري، غريغوريوس بن توما المطلي، أبو الفرج (ت ٦٨٥ هـــ/١٢٨٦ م)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطوان صالحاني اليسوعي، ط ٣، دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢ م.

٩) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩ هـــ/١٦٧٨م)، شذارات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط ١، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦ م.

١٠) القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦ هـــ/ ١٢٧٨ م)، إخبار العلماء بأخيار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠٥ م.

المـــراجع

١) البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم (ت ١٣٩٩ هـــ/ ١٩٧٨م)، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٢) حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م.

٣) الزركلي، خير الدين (ت ١٣٩٦ هـــ/١٩٧٦ م)، الأعلام، ط ١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢ م.

٤) زناتي، أنور محمود، موسوعة تاريخ العالم منذ توحيد القطرين وحتى أحداث ١١ سبتمبر، نشر اليكتروني، دار كتب عربية، القاهرة، ٢٠٠٧ م.

٥) السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، بغداد، د.ت.

٦) كعدان، عبد الناصر، الطبيب العربي علي بن رضوان المصري، معهد التراث العلمي العربي، حلب، د.ت.

٧) ما يرهوف، شاخت، خمس رسائل لابن بطلان البغدادي، وابن رضوان المصري، الجامعة المصرية، كلية الآداب، القاهرة، ١٩٣٧ م.

المواقع الإليكترونية

١) موقع المعرفة (الأدب والعلوم في العصر الفاطمي).

www.marefa.org.